المحاضرة العاشرة

حضارة جنوب الجزيرة العربية: تاريخها – الكتابة والأدب.

تاريخ اليمن القديم

جنوب الجزيرة العربية أو **العربية الجنوبية** هو مصطلح استشراقي[1] ، وهو التاريخ الذي يتناول الحضارات في بلاد اليمن من الألفية الثانية قبل الميلاد حتى القرن السابع بعده. ينقسم التاريخ القديم لثلاث مراحل: الأولى مرحلة مملكة سبأ والمرحلة الثانية فترة الدول المستقلة وهي مملكة حضرموت ومملكة قتبان ومملكة معين والمرحلة الثالثة عصر مملكة حِمْيَر وهو آخر أدوار التاريخ القديم.

مرت البلاد بعدة أطوار من ناحية الفكر الديني، بداية بتعدد الآلهة، إلى توحيدها من قبل الحميريين. أغلب مصادر تاريخ اليمن القديم هي كتابات خط المسند[2] بدرجة أولى، تليها الكتابات اليونانية. أما كتابات النسابة والإخباريين بعد الإسلام، فهي مصادر مهمة، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها بشكل كامل لعدم قدرتهم قراءة خط المسند واتساع الهوة الزمنية بينهم وبين مملكة سبأ . وكان لليمنيين القدماء نظام زراعي متطور، وعرفوا ببناء السدود الصغيرة في كل واد؛ وأشهر السدود اليمنية القديمة سد مأرب .ازدهرت تجارتهم وكونوا محطات وممالك صغيرة منتشرة في أرجاء الجزيرة العربية مهمتها حماية القوافل .أسسوا إحدى أهم ممالك العالم القديم المعروفة باسم ممالك القوافل، وعرفت بلادهم باسم بلاد العرب السعيدة في كتابات المؤرخين الكلاسيكية.

1- مملكة سبأ*نحو(1000 ق.م إلى-275م)

---

[1]- **لاستشراق** (Orientalism) هو دراسة كافّة البنى الثّقافيّة للشّرق من وجهة نظر غربية .وتستخدم كلمة الاستشراق أيضاً لتدليل تقليد أو تصوير جانب من الحضارات الشرقية لدى الرواة والفنانين في الغرب. المعنى الأخير هو معنى مهمل ونادر استخدامه، والاستخدام الأغلب هو دراسة الشرق في العصر الاستعمار يما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر. لذلك صارت كلمة الاستشراق تدل على المفهوم السلبي وتنطوي على التفاسير المضرّة والقديمة للحضارات الشرقية والناس الشرقيين. وجهة النظر هذه مبيَّنة في كتاب إدوارد سعيد (الاستشراق) المنشور سنة 1978..

[2]- **خط المُسند** أو **الخط الحميري** يسمّيه المستشرقون **خط النصب التذكارية** هو نظام كتابة قديم تطور في اليمن جنوب الجزيرة العربية، قرابة القرن التاسع – العاشر قبل الميلاد، وهو أحد ضروب الكتابة السامية الجنوبية.

* – سبأ: أحد الأقوال أنه اسم جد قبيلة من القبائل العربية القديمة، القول الأخر أنه اسم مملكة، أما معنى الاسم فقد وردت نظريات كثيرة، وجدت آثار حجرية بخط المسند تشير إلى معنى قاتل أو حارب بلفظة سبأ.

دولة سبأ في العصر الأول هي أكبر وأهم تكوين سياسي فيه، وما تلك الدول التي تذكر معها سوى تكوينات سياسية كانت تدور في فلكها، ترتبط بها حيناً وتنفصل عنها حيناً آخر، مثل دولة معين و قتبان وحضرموت، أو تندمج فيها لتكون دولة واحدة مثل دولة حمير، والتي لقب ملوكها بملوك سبأ وذي ريدان وذو ريدان هم حِمْيَر

وهي مملكة عربية يمنية قديمة، وهناك اختلاف حول مرحلة نشأتها، فهي موجودة من القرن الحادي عشر قبل الميلاد على الأقل. إلا أنها ظهرت بوضوح في القرن العاشر و التاسع قبل الميلاد كانت أقوى الاتحادات القبلية في اليمن القديم ولم يرتبط اسم إقليم اليمن بأي مملكة بقدرها. استطاعت المملكة تكوين نظام سياسي وصفه علماء العربية الجنوبية بأنه فيدرالية ضمت مملكة حضرموت ومملكة قتبان ومملكة معين وكل القبائل التابعة لهذه الممالك، وأسسوا عددا من المستعمرات قرب فلسطين والعراق كما تشير نصوص آشورية وبعض الوارد في العهد القديم يعطي لمحة عن وجود سبئي قديم في تلك المناطق الكثير من تاريخ المملكة السياسي غامض، على أن المستشرقين نجحوا في كشف النقاب عن عدة جوانب منه. أبحاث واكتشافات أثرية حديثة ساعدت في إعطاء وجهة نظر عن تاريخ مملكة سبأ، ولكن لا زالت معضلة الكرونولوجيا تواجه الباحثين بتاريخ هذه المملكة. ثراء سبأ وشعبها يظهر في العديد من الأدبيات الكلاسيكية اليونانية والبيزنطة والعربية والعبرية كذلك، وللمملكة أهمية خاصة لدى الشعوب القديمة حول البحر الأبيض المتوسط كونها مصدر القوافل التجارية المحملة بالبخور وغيرها من التوابل العطرية. ذكرت سبأ في ثلاث كتب مقدسة لأتباع الأديان الإبراهيمية وأشهر القصص هي قصة ملكة سبأ وزيارتها لملك بني إسرائيل الأشهر سليمان. وهي قصة وردت في نصوص التورات القديمة وفي القرآن الكريم.

وكان السبئيون يعبدون الشمس واشتهروا بإقامة السدود.

وأرض سبأ في الأصل هي منطقة مأرب ، وتمتد إلى الجوف شمالاً، ثم ما حاذاها من المرتفعات والهضاب إلى المشرق، وكانت دولة سبأ في فترات امتداد حكمها تضم مناطق أخرى ، بل قد تشمل اليمن كله . وكانت مأرب عاصمة سبأ، وتدلل الخرائب والآثار المنتشرة التي تكتنف قرية مأرب الصغيرة اليوم على الضفة اليسرى من وادي أذنه على جلال المدينة القديم وكبرها، ويرجح أن التل الذي تقع عليه قرية مأرب اليوم هو مكان قصر سلحين الذي ذكره العلامة الحسن بن أحمد الهمداني قبل ألف عام، والذي ورد ذكره بالاسم نفسه في النقوش اليمنية القديمة .

وقد تحكم موقع مأرب في وادي سبأ بطريق التجارة الهام المعروف بطريق اللبان، وكان اللبان من أحب أنواع الطيوب وأغلاها في بلدان الشرق القديم، وحوض البحر المتوسط .

2-ملكة حضرموت

هي مملكة قديمة قامت في جنوب جزيرة العرب وكانت عاصمتها شبوة ذكر اليونانيون والرومان حضرموت بشيء من التحريف، هي إرابإسلرو، ونبوفراستوس باسم) لاتينية : (Hadramyta وذكرها كتبة العهد القديم باسم (عبرية (Hazar maveth) وحرفياً تعني "فناء الموت "وأنه الابن الثالث من أبناء قحطان وحضرموت حسب نصوص العربية الجنوبية القديمة هو اسم قبيلة. البت في تاريخ حضرموت القديم أمر صعب لأن الكتابات المكتشفة أقل بكثير من نظيرتها السبئية

3- مملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في المرتفعات والتهائم أو مملكة حِمْيَر (110 ق.م-527525 – م) مملكة يمنية قديمة نشأت في ظفار يريم واستطاعت القضاء على ممالك اليمن القديم الأربعة وضمها وقبائلها في مملكة واحدة هي آخر مملكة يمنية قبل الإسلام وكانت لهم علاقة وثيقة بمملكة كندة عن طريق تحالف بينهم يعود للقرن الثاني ق.م. الحميريون بالأصل قبائل سبئية اعتنقت الديانة اليهودية، كانت تنتشر في مناطق ريمة ، تعز، إب، و ذمار وأجزاء من صنعاء ومأرب، وعاصمتهم ظفار في محافظة إب.

ما زالت معارف الباحثين ضئيلة عن تاريخ هذه المملكة السياسي وتاريخ اليمن القديم بشكل عام فالمُكتشف يمثل نسبة ضئيلة للغاية وعثر على غالبه بظاهر الأرض وظهرت المملكة قرابة العام 110ق. م وهي فترة مضطربة في تاريخ اليمن تزامنت مع ظهور أقيال إقطاعيين وضعف السلطة المركزية المتمثلة بمملكة سبأ سبب ظهور الإقطاعيين كان زوال الهيمنة اليمنية على تجارة البحر الأحمر مما دفع الأقيال لإلغاء طبيعة الحكم الاتحادية واستبدالها، كانت الغلبة في نهاية الحرب لصالح أقيال حِمْيَر بعد قرن ونصف من النزاع ضد همدان ومملكة حضرموت عكس أسلافهم فإن الإخباريين بعد الإسلام كانوا يعرفونهم فقد سقطت دولة الحميريين قبيل الإسلام إلا أنهم خلطوا الكثير واعتمدوا كعادتهم على القصص والمخيلة الشعبية في تدوين هذا التاريخ واستطاع علم الآثار الحديث إعادة كتابة تاريخ هذه المملكة.

أحد أبرز آثار الحميريين عبر تاريخ اليمن هو إقدامهم على التخلي عن الوثنية في اليمن القديم وعبادة إله واحد هو الرحمن.

كان الحِمْيَريّون وثنيين في بدايتهم ثم تحولوا لليهودية واعتنقوا الإسلام في القرن السابع الميلادي .

كان اقتصاد الحِمْيَريّين يعتمد على الزراعة والتجارة بالبخور واللبان والصمغ وتمتلئ كتاباتهم القديمة عن التجارة وأقاموا عدداً من السدود الصغيرة بالإضافة لترميمهم سد مأرب القديم. مرت المملكة بعدة تحديات لعل أبرزها كان في بدايات القرن السادس للميلاد من استقلال زعماء القبائل ودخولهم في حروب ضد بعضهم البعض أضعفت الحِمْيَريّين كثيراً[1]

[1]– المصدر: ويكيديا: الموسوعة الحرة.

2– الموسوعة العربية العالمية